

المقترحات

وعلى ضوء ما تلتناه آتفا عن الوضع التاريخي والواقع الملوس حاليا نخلص الى المقترحات الآتية :

المقترح (1)

من حيث ان اللغة العربية تحتل المكانة الاولى من بين المقومات الاساسية للدين والثقافة الاسلامية يجب على الحكومات في البلاد الاسلامية غير العربية ان تتبادر الى اتخاذ ما يلزم لجعل اللغة العربية للسان الاولى بالنسبة للمسلمين عملا بقول الامام الشافعي : ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم اللغة العربية ان يتعلمها لانها للسان الاولى (رواه السلفى باسناده) — و « اللسان الاولى » لا تعنى اللغة الرسمية في الادارة ولا لغة المخاطبات اليومية ، انما تعنى ان تكون العربية هي المنفوتة على اللغة المحلية (القومية) واللغة الاجنبية (الانجليزية) وما اليها في التعليم والثقافة العامة بحيث لا يعتبر مثقفا ثقافة أصيلة متكاملة من لم يتعلم اللغة العربية باتقان .

المقترح (2)

ويتبع هذا الوضع ان تلتزم وتحفظ جميع اللغات المحلية بالخط العربي وتتراجع الحكومات والقيادات المتوددة الى الغرب القهقري الى الخط العربي بعد ما تبين لها خطأ استبدال الخط اللاتينى به وفداحة الخسارة الدينية والثقافية المترتبة على ذلك — كذلك يجب الاسراع الى نبذ الخط غير العربي بشأن بعض اللغات مثل البنغالية وعدم التلكل في اتخاذ الخط العربي لها بعد ما زالت الاعتبارات السياسية التي سببت التثبوت والاعتزاز بالخط غير العربي في الماضي القريب .

وهاتان الخطوتان ، اعنى (1) جعل الاولوية للعربية في التعليم و (2) توحيد الخط العربي بالنسبة لجميع اللغات المحلية في البلاد الاسلامية غير العربية سيكون لهما فعاليتها وتأثيرها في توجيه نشأة اللغات المحلية وجهة العربية وصبغها الصبغة الاسلامية ، فان الوضع الذي سينجم عن اتخاذ الخطوتين هو ان يكون كل متعلم مثقف ، كاتب او شاعر ، ذا لسنتين — اللسان العربي واللغة المحلية — والتقاؤهما في ثقافة موحدة سينجر مرة اخرى تلك العيون التي

ناحية للعربية والفارسية ، وذلك هو الوضع الطبيعي التاريخي الذي تفره الروح العلمية المحضة ايضا ، ولكن حدث بعد الاستقلال ان تيار القومية الهوجاء جرف بالمكانة الرموتة للغة العربية حتى تركها كالمعلقة ، لا هي اجبارية (وقد كانت دراسة احدى اللغات الكلاسيكية — العربية والفارسية والسنسكريتية — اجبارية الى حد الشهادة الجامعية — B.A. أيام الانجليز) ولا أحد يختارها باختياره وفي الوقت نفسه قفزت اللغات المحلية (« القومية » كما تلتب في الغرب تخفيا وتمجيدا) الى القمة حتى أصبحت اجبارية وادعت الاستغناء عن العربية خاصة بينما رضيت بالتعايش مع الانجليزية كلفة اجبارية اخرى — وانتهى الامر بما لم يكن في الحسبان ، اعنى الاستغناء عن العربية في مجالات لا غنى عن العربية فيها ، الا وهي العلوم الدينية والتاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية .

على كل حال بقيت اتسام اللغة العربية في الكليات والجامعات الحديثة منذ الاستقلال تتلمس الطرق لتأدية وظيفتها ، وكان الجو العلمي في الكليات والجامعات الحديثة مساعدا لتغيير مقررات الدراسة حسب التوسع في احياء ونشر التراث العربي القديم وادخال المواد الجديدة مثل تاريخ الآداب ومقاييس النقد الادبي والادب الانطلسي والادب الحديث — كل هذا بخلاف الجمود والتصر على كتب بعينها في المدارس القديمة — وكانت النتيجة ان المتخرجين من الجامعات توسعوا في دراسة الآداب بأصنافها المختلفة مع ربطها بالتغيرات الاجتماعية والتيارات الادبية في اطار التاريخ العام وحصلوا على قدر من الذوق الادبي مع الاخذ بمنهج البحث والتحقيق المعصرية ، الا انهم بقوا على العموم ضعافا في استخدام اللغة في الكتابة والمكالمة ، وربما لم يتقنوا تطبيق قواعد الصرف والنحو في القراءة — وقد لوحظ ان معظم البحوث والاطروحات المقدمة الى الجامعات لنيل الشهادات العليا في الآداب العربية كانت مكتوبة باللغة الانجليزية على المادة المتبعة في الجامعات الغربية ، لم يتغير هذا الوضع الا في الآونة الاخيرة حيث قدمت البحوث والاطروحات الى بعض الجامعات الهندية والباكستانية باللغة العربية ، على سبيل المثال كتاب « الترك في مؤلفات الجاحظ » الذي صدر من دار الثقافة ببيروت وهو يمثل اطروحة قبلت لمنح الدكتوراه من القسم العربي بجامعة كراتشي .

والثانوية اللتان يلتقن فيها الطالب تعاليم الدين المبسطة باللغة التي نشأ على تداولها وفهمها بينما يجرى اعداده لدراسة وفهم النصوص العربية في مرحلة التعليم العالى .

والمواد الاسلامية هي بالتفصيل : القرآن والحديث والتفسير ومصطلح الحديث والفقہ والاصول — هذه هي المواد الدينية الاصلية التي لا ينبغي ولا يتأتى تدريسها الا عن النصوص العربية فقط .

وهناك بعض المواد في المرتبة الثانية ينبغي لطلابها كذلك أن يكون على استعداد للرجوع الى المصادر العربية الاصلية وأن لم يدرس المادة عن النصوص العربية تماما ، مثل التاريخ الاسلامى والفلسفة الاسلامية اذا درسها الطالب (من غير تخصص فيهما) كجزء من تاريخ العالم والفلسفة العامة .

فاذا تبوات العربية المكان اللائق بها وحظيت بالاحترام والتقدير بالنسبة الى اللغات المحلية والانجليزية وما اليها — تلك اللغات التي لم تزل منذ عهد الاستعمار ولا تزال حتى بعد الاستقلال السياسى تنازعها وتناوئها وتزحزحها عن مكانها في برامج التعليم القومية — نعم ! اذ ذاك يجب اتخاذ التدابير لسد النقص في الاوضاع الحالية :

فاولا : فئة المتخرجين من المدارس الاهلية الدينية العربية وهم الذين افنوا اعواما طويلا في دراسة اللغة العربية بالطريقة القديمة المعروفة بـ « طريقة القواعد والترجمة » وهي الطريقة التي كانت متبعة في تدريس اللغات الاجنبية — ولا سيما الكلاسيكية القديمة — في اوروبا ايضا الى وقت قريب ، يتقن الطالب بموجب هذه الطريقة الصرف والنحو ويحصل له المقدرة على فهم النصوص ، انما ينقص هذه الفئة :

(ا) التمكن من استخدام اللغة في الكتابة والانشاء وفي الخطابة ، ولا سيما المكالمات اليومية .

(ب) التوسع في الاطلاع على الآداب القديمة .
(ج) الآداب الحديثة مهملة عندهم تماما ، وربما لا يقفون على شيء منها .

(د) تاريخ الآداب والاطار العام من الاحوال السياسية والاجتماعية التي اثرت في نشأة الآداب ووجهتها ووجهتها الخاصة .

(هـ) النقد الادبى — اصوله ومناهجه .
وبما أن السبب الرئيسى في وجود هذا النقص —

طالما نبعت من العربية ورقدت اللغات المحلية بالكلمات والتراكيب والمصطلحات الفنية وتوالى التعبير والكتايبات والتلميحيات والاستعمارات والانكار والاحاسيس ومبائى الشعر والنثر ، انما نضبت تلك العميون منذ أن تحول المثقفون من العربية الى الانجليزية أو ما اشبهها من اللغات الاوروبية .

لو تصفحنا قليلا الفارسية والتركية والاردوية لوجدناها تنسم بملامح بارزة للاستعراب ، منها (1) عدد كبير — بنسبة ستين في % وأكثر في بعض الاحوال — من المفردات — الاسماء والصفات والافعال ومشتقاتها — المنقولة من العربية الى اللغات المحلية . (2) كذلك الالفاظ الدينية والمصطلحات العلمية والتعبيرات العلمية الدقيقة والادبية اللطيفة المنقولة بالحرف أو المأخوذة بالمعنى عن العربية .

(3) ثم النسج على منوال الآداب العربية في انشاء الآداب المحلية ، خذ مثلا الشعر بأوزانه وبحوره واقسامه من القصيدة والغزل — انما تسنى مثل هذا الاتصال بين اللغات المحلية والعربية لان الكتاب باللغات المحلية كانوا تعلموا اللغة العربية بالدرجة الاولى فانتبسوا منها ما يلحقون به اللغات المحلية ويطورونها لخدمة الاغراض الدينية والثقافية الاسلامية ويصدق هذا قليلا أو كثيرا على جميع اللغات المحلية المتداولة بين المسلمين في مختلف البقاع ، لا فرق من حيث جوهر القضية ، انما الفرق في المقدار فقط .

انما أكدت هاتين الخطوتين لكونهما لا بد منهما لاسترداد المكانة اللانقطة باللغة العربية في برامج التعليم القومية في البلاد الاسلامية غير العربية وهما تمهدان السبيل للمقترح الثالث ، وهو :

المقترح (3)

الاستنكار الشديد للاتجاه السائد في البلدان الاسلامية غير العربية الى الاستغناء عن العربية وتدريس المواد الدينية الاسلامية باللغات المحلية أو الاجنبية مثل الانجليزية — يستوجب هذا الاتجاه الاستنكار الشديد لكونه مخالفا للغرض الدينى ومناقضا للاقتدار العلمية البحتة — اذن يتحتم على جميع الجهات المعنية بالامر أن تتبادر الى تصحيح الاوضاع حتى يعم تدريس المواد الاسلامية كلها بالنصوص العربية لا غير ، يستثنى من هذا الاصل المرحلتان الابتدائية

ثانيا : فئة المتخرجين من الاتسام العربية نسي الجامعات الحديثة - ماذا ينقصهم ؟ هم أيضا يعانون من انعدام البيئة العربية مثل ما يعاني منه الفئة السالفة الذكر - انما يزيد في نقصهم انهم من حيث المجموع ضعاف في الصرف والنحو من الناحيتين العلمية والعملية بينما هم يتفوتون على غيرهم بالتوسع والتنوع في دراسة الأدب القديم ودراسة الأدب الحديث كمادة مستقلة والامام بمبادئ النقد الادبي .

المقترح (5)

فالاولى بهم أيضا ان يلتحقوا بالمعاهد الخاصة المقترح انشاؤها في البلدان العربية - انما ينبغي ان تنظم لهم صفوف خاصة بهم في بعض المواد مع تغييرات في المقررات والمناهج حسب ظروفهم واستعدادهم .

هذا ومن واجب الحكومات والادارات المحلية تهيئة الفرص للاستاذة في المدارس العربية القديمة والكليات والجامعات الحديثة لان يستفيدوا من الالتحاق بالمعاهد المذكورة ، فانهم بعد ان يتدربوا تدريبا عمليا راقيا ويرجعوا الى مناصبهم في اوطانهم سيكونون اداة لاجراء الاصلاحات المنشودة في برامج تعليم اللغة العربية - مناهجها ومقرراتها - وربما ينتج من تدرب الاستاذة على خطة موحدة توحيد برامج الدراسة نسي المعاهد القديمة والكليات والجامعات الحديثة ولو في نطاق محدود ، اعنى نطاق اللغة العربية وآدابها ، ولا يخلو مثل هذا التقارب من مغزى خطير بالنظر الى فشل جميع الجهود التي بذلت منذ امد بعيد لردم الهوة السحيقة بينهما وانتقاذ الامم الاسلامية من ازدواجية التعليم والفكر والعمل .

لا بد من وضع سلم للاولوية فيما بين الخطوات العديدة لرفع مستوى اللغة العربية وتعميمها في البلاد الاسلامية غير العربية - فمن المهم ان نضع في الدرجة الاولى من سلم الاولوية رفع مكانة اللغة العربية نسي برامج التعليم القومية وتدريب الاستاذة من الفئتين المذكورتين فيما فوق واصلاح مناهج التعليم بيد هؤلاء المدربين حتى يتم سد النقص الحالي وتكوين نواة صالحة قوية للعربية داخل الاطر القومية .

ناذا تم ذلك - وليس قبل ذلك - اتجهنا في المرتبة الثانية الى تعليم الكبار من المتعلمين وانصاف المتعلمين

ما عدا طريقة التعليم القديمة - هو انعدام البيئة التي تحرك الطبع وتضطر الطالب الى تطبيق واستعمال مواهبه ومكتسباته اللسانية في الاحوال الواقعية ، ويلاحظ ان اشبع ما يترتب على انعدام البيئة الملائمة من الآثار هو النطق المحلى المحرف للكلمات العربية مع مخالفة جميع آداب الكلام الصحيح من الضغط وارتفاع الصوت وانخفاضه في المحل المناسب - وربما تكثر هذه الظاهرة في الهند والباكستان فان النطق في جنوب شرق آسيا اقرب الى الصحة والى اللهجة العربية - ومن الغريب ان مرجع ذلك ربما كان وجود الكلمات العربية بكثرة . كاثرة لكن بصورة محرفة في المعنى ومشوهة في النطق داخل الادرية مما يسبب الخطأ في التعبير وصوغ العبارة أيضا في احيان كثيرة بينما اعتنى مسلمو جنوب شرق آسيا بالقراءة والتجويد عناية خاصة شاملة للمدن والقري ومعتمدة على العرب الخالص نجاعت لهجتهم اقرب الى اللهجة الصحيحة .

المقترح (4)

على كل حال بما ان المهم هو ايجاد بيئة عربية نالأولى اقامة معاهد في البلدان العربية نفسها وتنظيم دراسات خاصة بها بالنسبة لهؤلاء المتخرجين من المدارس الدينية العربية في البلدان الاسلامية غير العربية ، تكون مدة الدراسة في تلك المعاهد الخاصة من سنة الى سنتين ، وتتكون مواد الدراسة كالآتى :

(ا) تمرينات في النطق وقراءة النصوص ودروس في علم التجويد .

(ب) تمرينات في الخطابة والكتابة والانشاء .

(ج) دراسات عامة توسعية في الآداب القديمة .

(د) دراسات في الادب الحديث .

(هـ) تاريخ الآداب العربية .

(و) النقد الادبي .

يرجى ان يكون هؤلاء المدربين في بيئة عربية خالصة داخل بلد عربي خير عون في رفع مستوى اللغة العربية وتعميمها بعد رجوعهم الى اوطانهم ومن المؤكد انه لا حاجة بهم الا الى الفصحى فلا يورطوا ولا يضيع وقتهم في تحصيل اللهجات الدارجة بصورة تعمدية .

ان هؤلاء المرشحين حائزون على شهادات عالية كل في دائرة اختصاصه وهم متعلمون مثقفون نضجت عقولهم واستكملت مواهبهم ، منها موهبة تعلم اللغة الاجنبية مثل الانجليزية والفرنسية وتذوق الآداب العالية .

اذ لا يناسبهم الطريقة المعروفة بالطريقة المباشرة (Direct Method) وهي الطريقة التي يباشرها الطفل حينما يتعلم اللغة من امه ، يأخذ الكلمات والجمل ويحاكي امه في النطق بها في ظروف معينة تبعته على التجاوب معها ، والطفل لا يابه للتواعد ولا يقلقه التغييرات التي تطرأ على كلمة واحدة في احوال مختلفة بل يخزنها ويستعيدتها في ظروف متشابهة اذا دعت الحاجة اليها بدون ان يهتدى بأصول مدونة لها .

ولكن الحال يختلف تماما مع الذين تجاوزوا سنّ الطفولة فاعتادوا الاهتداء بالاصول المدونة في تعلم العلوم المختلفة واللغات الاجنبية وقد جربت انا بنفسى ان كبار السن من المتعلمين امثال طلاب الجامعة كلما لاحظوا الاعراب بالرفع تارة وبالنصب والجر تارة اخرى لا يلبثون ان يسالوا عن الاصل الضابط لتلك الظاهرة .

فالطريقة التي تلائم كبار السن من المتقنين هي الطريقة « الواعية لضوابط اللغة » (cognitive code learning)

وتلك الضوابط تساعد المتعلم الواعي لها على التقدم من المحاكاة المجردة الى الخلق والابداع في التعبير اذا اصطدم بظروف لم يسبق له تجربتها من قبل — فالضوابط هي كالتقليد للتغيرات والاستحالات في اللغة (Transformational grammar) ومن الطبيعي ان يحرص على اقتنائه كل من بلغ رشده ونضج عقله .

ولكن الامر ليس بصعب ولا داهى للتوحش من القواعد اذا احسن عرضها وافهامها عن طريق الاكثار من الامثلة وتمكين الطالب من الملاحظة والاختبار والتأكد بنفسه ، فان مظاهر اللغة كمظاهر الطبيعة في الكون ، وهل علم الطبيعة والعلوم الاخرى المتعلقة بالنبات والحيوان الا الاهتداء الى سنن الله او النواميس الفطرية الجارية في الكون — وحقا قيل ان قواعد اللغة العربية على الاخص تشكل « علما » بكل معنى الكلمة فان قواعد مطردة. اطراد نواميس الكون يمكن الاعتماد عليها في معظم الاحوال بخلاف كثير من اللغات العصرية التي لا تسير على قاعدة شاملة .

الذين تفرغوا او اعتزلوا الدراسة المنتظمة ولم يتسوق لهم تعلم العربية اثناءها ، وهم ينقسمون الى قسمين : قسم يرغب في تعلم العربية لاغراض التوظف والتكسب والاقامة في البلاد العربية ، والقسم الآخر يريد الاستزادة من الثقافة الدينية والادبية محسب .

اما الذين يرغبون في العربية لدعم مؤهلاتهم للتوظف والتكسب فهم في الغالب فنئون متخصصون في حقول شتى مثل الطب والهندسة واعمال البنك ، وقد كثر ولا يزال يكثر عدد المهاجرين منهم الى البلدان العربية منذ ازدياد دخلها من البترول وانتعاش حركة التعمير والبناء فيها .

والفكرة تستحق التقدير والتشجيع من الجانبين — جانب العربي المستخدم (بصيغة الفاعل) وجانب المسلم المعجمي المستخدم (بصيغة المفعول) — فان الالمام بلغة البلد الذي يعمل فيه لا بد وان يزيد في كفاءة العامل ، ومن وراء ذلك بجنى من العربية فوائد اخرى عميقة الاثر في ربط اجزاء العالم الاسلامي بعضها ببعض، فان الاستعراب والاسلام بقيا متلازمين في القرون الاولى من تاريخنا ، وليس الوضع الحالي الا وليد الاستعمار الذي لا تزال نتمسك بخلفاته ورواسبه في الفكر والثقافة عن طواعية منا ، فمن المخجل ان يتفاهم مسلم مع مسلم آخر عن طريق لغة اجنبية عنهما مثل الانجليزية حتى في المؤتمرات التي تعقد باسم الاخوة الاسلامية وللتنويه والاشادة بأصالة المسلمين في مختلف المجالات — وقد اتفق لى ان التقيت بمسلمين اماجم شغلوا مناصب كبيرة لاغوام طويلة في البلدان العربية وامتازوا بالكفاءة والامانة في تادية خدماتهم الا أنهم بقوا كاجانب في المحيط العربي لعدم المامهم باللغة العربية ، فهذه خسارة عظيمة ان تقتصر العلاقة بين مسلمين اثنين على الخدمة والاجرة فقط بدون ان تستغل فرصة التقائهما لتعميم الوسيلة المتلى اعنى العربية لتبادل الانكار وتقوية اواصر الصداقة حتى ترتفع الكلفة بينهما بصفة اخوية ثابتة .

المقترح (6)

فالفرض انه يجدر بنا ان نقيم داخل البلاد الاسلامية غير العربية معاهد خاصة لتعليم اللغة العربية لهؤلاء المرشحين للوظائف والاعمال في البلدان العربية — ويلاحظ في هذا الصدد :